الخطبة الثالثة والعشرون

دارك التي ستعيش فيها

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، وبعد:

كل منا في الغربة يحلم بأن يرجع إلى بلده الأم، ويقضي شيخوخته وبقية عمره بين أصحابه وأقرانه وأهله، ولذلك تراه في الغربة يكد ويكدح حتى يوفر المال كي يبني بيتاً جميلاً في مدينته أو قريته التي ولد فيها أو نشأ فيها، ولعله يتباهى بهذه الدار فيزخرفها بالحجارة البيضاء أو الرخام وما إلى ذلك، فإذا كنت أكدُّ وأتعب وأوفر المال لبيت الشيخوخة فكم هي مدة شيخوختي؟ خمس أو عشر سنوات؟ هي كذلك، أقل قليلاً أو أكثر قليلاً، وسؤالي لنفسي:

إذا كنت أعمل لشيخوختي التي هي بحدود عشر سنوات وأبني البيت وأزخرفه، فهل أنا فكرت في بيتي الذي سوف أقضي فيه الدهر كله؟ ليس عشر سنين ولا عشرين ولا مليون سنة. قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: 13/ 35].

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ ديمومة لا يعرف مداها إلا الله تعالى.

أعمل نصف عمري لأوفر داراً لشيخوختي والتي هي عشر سنوات، فماذا يجب عليّ أن أفعل لبيتٍ المقام فيه لملايين السنين وإلى ما شاء الله، وإذا استعرضنا القرآن

الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى قد استخدم كلمة (الدار) ليذكرنا بالآخرة. فقال تعالى: ﴿وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 32].

وقال تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأعراف: 7/ 169].

أين عقولنا؟ أين تفكيرنا؟ كل الناس أمامنا تموت ونغسلهم وندفنهم ونعلم قبورهم، أما آن لنا أن نؤمن بأن مصيرنا سيكون كمصيرهم؟ وأن المسألة والقضية قضية وقت فقط، وأن المصير واحد؟ لذلك يذكرنا ربنا ويقيم الحجة علينا فيقول في أكثر من موضع في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: 29/ 64].

وقال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 12/ 109].

﴿لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ لهي الحياة بأكملها، وكأنه يقول والله أعلم: بأنه لا حياة تستحق أن يطلق عليها حياة لأنها قصيرة بالمقارنة مع حياة الآخرة، فلذلك لهي الحيوان، لأنها حياة لا حدود لها ولا زمن لها إلى ما شاء الله، قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ [هود: 10/ 106 – 108].

فهي حياة أبدية لا تقارن بحياة الدنيا، وقال ذلك الله سبحانه وتعالى أيضًا حتى لا يكون لأي إنسان عذر فيقول: لا أعلم، اقرأ كتاب ربك ترى جميع البراهين وترى التذكرة.

قال تعالى: ﴿قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴾ [المؤمنون: 23/ 112 – 116].

لقد عرفت الآن لماذا سميت الآخرة بالحيوان، عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة، فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن أهل النار، يقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إلى يوم القيامة» متفق عليه.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 13/ 25].

ودارك في الآخرة هي دار لا نظير لها، ولا تخطر على بالك، ولا تعرف ما فيها من الملذات، سماها ربنا سبحانه وتعالى دار السلام، قال تعالى: ﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام: 6/ 127].

والله سبحانه وتعالى يدعوك إليها فهل تقبل دعوته؟ فإذا قبلت دعوته يجب عليك أن تتحلى بأمور حتى تكون كفؤاً لها فهي دار غالية، دار فخمة، دار لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وسأحدثك عن هذه الدار ولكن بعد أن أسرد لك ما يجب عليك حتى تستحقها:

1 - العقيدة الصحيحة السليمة، العقيدة التي كان عليها رسول الله ﷺ وصحابته، قال ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فقيل له: ما الواحدة؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي» أخرجه الترمذي وغيره وهو صحيح.

- التسليم لله تعالى ورسوله ﷺ ظاهراً وباطناً، فلا يعارض شيئاً من الكتاب والسنة الصحيحة، لا يعارض بعقله ولا برأيه ولا بهواه، ولا تعصباً لشيخ أو لمذهب أو لطريقة؛ فالله تعالى لم يأمرنا بطاعة أحد، ولا باتباع أحد، ولا التعصب لأحد إلا الله سبحانه ولرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [النور: 24/ 54].

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ أي: أن على رسول الله ﷺ التبليغ، ﴿وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ أي: الطاعة والقيام بالتكاليف الشرعية المترتبة عليكم، فإن فعلتم ذلك اهتديتم ورسول الله ﷺ أدى مهمته.

3 - الإتيان بالفرائض والأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة كثيرة، واجتناب الحرام والمنكر والفحش والبدع والضلالات وكل ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ ، قال عليه الصلاة والسلام: «إنه ليس شيء يقربكم إلى الجنة إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم إلى النار إلا ونهيتكم عنه، إن روح القدس نفث في روعي: أن نفسًا لا تموت حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا بالطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإن الله لا يدرك ما عنده إلا بطاعته» البزار - البيهقي - أبي شيبة - السلسلة الصحيحة (2866)، فالأوامر والنواهي كلها موجودة، وبلّغ بها رسول الله فلا ابتداع ولا ضلالة.

4 - ومع كل هذه الأعمال المأمور بها والمنهي عنها يجب النية الصحيحة الخالصة لله تعالى، فإن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا له كما جاء في الأحاديث القدسية الصحيحة، وإلا كان شركًا لا يقبله الله، وحاشاك أن تنطبق عليك الآية: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: 25/ 23]، وهناك جزء من آية عظيمة نمر عليها ولا نفكر فيها وقد شملت كل ما ذكرت، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 18/ 110].

5 - التوبة والاستغفار دائمًا وأبداً، فالعبد دائمًا مذنب، ومقصر، وصاحب شهوة، وصاحب هوى، وصاحب نفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، لذلك اِلزم الاستغفار، و اِلزم حديث سيد الاستغفار، عن شداد بن أوس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك

بنعمتك عليّ وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة» البخاري، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول قبل موته: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه» متفق عليه.

العمل الصالح الموافق للشريعة ولسنة رسول الله ﷺ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً، أن يكون خالصًا لله تعالى لا تشوبه شائبة.

هؤلاء الذين يطبقون ما أمرهم الله تعالى به وما أمرهم به رسوله ﷺ، هؤلاء يدعوهم ربهم إلى دار السلام، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 10/ 25]، ويقال لهم يوم القيامة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 13/ 24]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِيَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ﴾ [غافر: 40/ 39].

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال ﷺ: «كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها» مسلم، معتقها من النار أو موبقها في النار.

قال عليه الصلاة والسلام: «لا يدخل أحد الجنة إلا أُري مقعده من النار لو أساء، ليزداد شكراً، ولا يدخل النار أحد إلا أُريَ مقعده من الجنة، لو أحسن ليكون عليه حسرة» البخاري.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: 4/ 110]، وقال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: 25/ 70]، وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ٢٠ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: 13/ 20-22].

فيا أخي في الله ألا تريد أن تبني دارك في الآخرة، وكما قلت: دارك في الآخرة لا مثيل لها وما عند الله لك في الآخرة لا مثيل له، وأريد أن أورد لك حديثًا عن آخر من يخرج من النار فترى كيف داره، وَضَعْ في حسبانك أن هذا آخر من يخرج من النار فما بالك بالفائزين الأولين؟ كيف تكون دارهم؟ وسأورد لك حديثًا بدارهم بعد حديث آخر من يخرج من النار.

قال ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف الله وجهه عن النار قِبَلَ الجنة، وَمُثِّلَ له شجرة ذات ظل، فقال: أي رب! قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها، فقال الله تعالى: هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره؟ قال: لا وعزتك! فقدمه الله إليها، وَمُثِّلَ له شجرة ذات ظل وثمر، فقال: أي رب! قدمني إلى هذه الشجرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها، فقال الله تعالى له: هل عسيت إن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك! فيقدمه الله إليها، فيُمَثِّلُ الله تعالى له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء، فيقول: أي رب! قدمني إلى هذه الشجرة أكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها! فيقول له: هل عسيت إن فعلت أن تسألني غيره؟ فيقول: لا وعزتك لا أسألك غيره، فيقدمه الله إليها، فيبرز له باب الجنة فيقول: أي رب! قدمني إلى باب الجنة فأكون تحت نجاف الجنة فأرى أهلها، فيقدمه الله إليها فيرى الجنة وما فيها فيقول: أي رب أدخلني الجنة! فيدخله الجنة، فإذا دخل الجنة قال: هذا لي؟ فيقول الله تعالى له: تَمَنَّ! فيتمنى، ويذكره الله عزو جل: سل من كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله تعالى: هو لك وعشرة أمثاله: ثم يدخله الجنة فتدخل عليه زوجتاه من الحور العين فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا وأحيانا لك! فيقول: ما أُعطي أحد مثل ما أُعطيت. وأدنى أهل النار عذابًا ينعل من نار بنعلين يغلي دماغه من حرارة نعليه» حم، عن أبي سعيد – صحيح.

قال ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها، وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة، رجل يخرج من النار حبوا، فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فيأتيها

فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى! فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها، فيقول: أتسخر بي وأنت الملك؟!» حم - ق - ت - هـ، عن ابن مسعود.

قال ﷺ: «سأل موسى ربه فقال: يا رب ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: هو رجل يجيء بعدما يدخل أهل الجنة الجنة فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟! فقال له: أترضى أن يكون لك مثل مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا؟ فيقول: رضيت رب، فيقول: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة: رضيت ربي، فيقول: هذا لك ولك عشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول: رضيت ربي، قال: رب فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردت غَرَسْتُ كرامتهم بيدي وخَتَمْتُ عليها، فلم ترَ عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» حم - م - ت عن المغيرة بن شعبة.

وقد ذكر الله تعالى كلمة (الدار) في القرآن (26) مرة، فيا أخي هذه دارك لا محالة وسوف تعيش بها لا محالة فابنِها اليوم كما تشاء، وأسسها كما تشاء. قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: 16/ 30].

مر سليمان بن عبد الملك بالمدينة وهو يريد مكة فأقام بها أياماً فقال: هل بالمدينة أحد أدرك أحداً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا له: أبو حازم -واسمه سَلَمةُ بن دينار رضي الله عنه وأرضاه-، فأرسل إليه، فلما دخل عليه قال له: يا أبا حازم ما هذا الجفاء؟ قال أبو حازم: يا أمير المؤمنين وأي جفاء رأيت مني؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني! قال: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن، ما عرفتني قبل هذا اليوم ولا أنا رأيتك!

قال: فالتفت سليمان إلى محمد بن شهاب الزهري فقال: أصاب الشيخ وأخطأت،

قال سليمان: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم خرَّبتم الآخرة وعمرتم الدنيا فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب.

قال: أصبت يا أبا حازم، فكيف القدوم غداً على الله؟ قال: أما المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. فبكى سليمان وقال: ليت شعري ما لنا عند الله؟ قال: اعرض عملك على كتاب الله، قال: وأي مكان أجده؟ قال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾، قال سليمان: فأين رحمة الله يا أبا حازم؟ قال أبو حازم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

قال له سليمان: يا أبا حازم فأي عباد الله أكرم؟ قال: أولو المروءة والنُهى؟ قال له سليمان: فأي الأعمال أفضل؟ قال أبو حازم: أداء الفرائض مع اجتناب المحارم، قال سليمان: فأي الدعاء أسمع؟ قال أبو حازم: دعاء المحسَن إليه للمحسِن، قال: فأي الصدقة أفضل؟ قال: للسائل البائس، وجهد المقل، ليس فيها مَنٌّ ولا أذى، قال: فأي القول أعدل؟ قال: قول الحق عند من تخافه أو ترجوه، قال: فأي المؤمنين أكيس؟ قال: رجل عمل بطاعة الله ودَلَّ الناس عليها، قال: فأي المؤمنين أحمق؟ قال: رجل انحط في هوى أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره، قال له سليمان: أصبت.

حاتم الأصم (أبو عبد الرحمن الزاهد ابن عنوان) رافَقَ شقيقًا البلخي ثلاثين سنة فسأله شقيق يومًا: أنت تصحبني منذ ثلاثين سنة فماذا تعلمت مني؟ فقال حاتم الأصم رحمه الله (ابن عنوان): تعلمت منك ثمانية فوائد:

1 – نظرت إلى الخلق فرأيت لكل منهم محبوبًا ومعشوقًا؛ لكنه إذا مات تركه ولا يدخل معه قبره، فجعلت محبوبي العمل الصالح، لأنه يدخل قبري معي ولا يتركني.

2 – رأيت الخلق يركضون وراء أهوائهم وشهوات أنفسهم فتأملت قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ [النازعات: 79/ 40]، فبادرت إلى مجاهدة نفسي ومخالفة الشهوات والهوى.

3 - رأيت الناس يجمعون ويجمعون من حطام الدنيا وتأملت في قوله تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: 16/ 96]، فبذلت محصولي من الدنيا لوجه الله.

4 - رأيت الناس يكثرون من الأموال والأولاد والصلات، ليكون لهم عزاً وشرفاً ورفعة، وتأملت قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 49/ 13]، فاخترت التقوى.

5 - رأيت الناس يتحاسدون ويتباغضون ويتنافسون ويذم بعضهم بعضاً، ورأيت قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: 43/ 32]، فعرفت أن الرزق من الله المتفضل المنعم، فتركت الحسد ورضيت بقسمة الله.

6 - رأيت الناس يعادي بعضهم بعضاً لغرض وسبب، فتأملت قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: 35/ 6]، فتركت عداوة الناس وعاديت الشيطان.

7 - رأيت الناس يسعون ويجتهدون في طلب القوت والمعاش بشكل قد يوقعهم في شبهة حرام، أو مذلة نفس، أو انتقاص قدر، ورأيت قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 11/ 6]، فعلمت أن رزقي على الله وقد ضمنه سبحانه لي، فاشتغلت بعبادته وقطعت طمعي عن سواه.

8 - رأيت الناس يعتمدون ويتوكلون على أموالهم وأملاكهم وحرفهم أو على صِلَاتِهم وعلاقاتهم ورأيت قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: 65/ 3]، فتوكلت على الله واعتمدت عليه فهو حسبي ونعم الوكيل.

منذ زمن بعيد كان هناك مدينة يحكمها ملك، وكان الملك يحكم لمدة سنة واحدة، وبعد ذلك يُرسل الملك إلى جزيرة نائية ليكمل فيها بقية عمره، ووقع الاختيار على

ملك جديد، فكان أول ما فعله أن ذهب بنفسه إلى تلك الجزيرة النائية وقد غطتها الغابات والوحوش المفترسة، فأمر بإزالة الأشجار وقتل الحيوانات، وزرعها بالورود وبنى بها قصراً ونظمها ورتبها فلما انتهت مدة حكمه كان مسروراً فرحًا، ولما سألوه عن سر سعادته قال: إن الملوك انغمسوا في شهواتهم وملذاتهم فذهبوا إلى الغابة وإلى الوحوش المفرسة، أما أنا فذاهب إلى جنة وقصر، هذه هي الدنيا وتلك هي الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْآخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: 3/ 145]، فاشغل نفسك يا عبد الله في عمارة وتزيين بيتك في الآخرة، واعمل له ما استطعت، فالذي تبنيه سوف تسكنه لا محالة، فانظر ماذا تبني؟ وقديمًا قالوا: إنك تحصد ما تزرع، اللهم ألهمنا رشدنا وارزقنا الإنابة والذكر، اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم